



ارتشاف الظلماء ومعانقة الموت: قراءة في حبسيات هدية بن الخشرم العذري

د. محمد مختار حسن محمد

دكتوراه في الأدب والنقد

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

DOI: [10.21608/qarts.2022.118211.1358](https://doi.org/10.21608/qarts.2022.118211.1358)

مجلة كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادي - العدد ٥٣ (الجزء الثاني) يوليو ٢٠٢١

ISSN: 1110-614X الترخيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة

ISSN: 1110-709X الترخيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية

<https://qarts.journals.ekb.eg> موقع المجلة الإلكتروني:

ارتشاف الظلماء ومعاينة الموت:

قراءة في حبسيات هدبة بن الخشرم العذري

إعداد

د. محمد مختار حسن محمد

دكتوراه في الأدب والنقد

كلية الآداب - جامعة جنوب الوادي

المخلص:

إن الشعر العربي الذي تناول حالات الضعف الإنساني الناجمة عن وقوع الإنسان في غيابات السجن موطن تدبر وتفكر، حيث مثل لنا صورة الإنسان لحظة وقوعه أسير جدران سجن يضيق عليه مهما اتسعت أركانه. ويظل الشعر الذي لقب بشعر الحبسيات يجسد تلك الزفرات المكلومة التي أطلقها أصحابها تعبيراً عما يجيش في صدورهم من عوامل نفسية مثلت ما يشبه صرخات استغاثة، وطلب طوق للنجاة مما هم فيه من ألم نفسي وجسدي.

ويأتي شعر هدبة بن الخشرم العذري ليمثل لوناً فريداً من ألوان شعر الحبسيات، والذي عانى فيه صاحبه مرارة السجن وترقب أن يقتاد منه، الأمر الذي طبع شعر هدبة بلون مائز من ألوان الشعر المحمل بالنقائض، ما بين يأس وأمل، وما بين خوف ورجاء، الصورة التي جعلت من شعره كاشفة ضوء على المنطقة التي يقف فيها الإنسان بين الحياة وبين الموت.

ولقد تعددت الدراسات التي تناولت شعر السجون، وكثرت أقوال النقاد فيها، فمنهم من يستعذبها لاستكانة أصحابها، ومنهم من يراها طلب رحمة، ومن من يراها ندمًا، ومنهم من يراها طلبًا للحرية، وغيرها، لكنها تقف رغم تعدد أصحابها لترسم لنا صورة إنسانية لحال أصحابها خلف قضبان السجون، لتمثل رسائل مكلوم يقف على حافة الحياة والموت لا يعلم إلى أي طريق ينتمي.

ومن ثم كان سبب اختياري للموضوع هو إلقاء الضوء على تلك التجربة التي مر بها هذبة بن الخشرم، ومدى أثرها في شعره، قوة وضعفًا، ومن ثم وضع شعر هذبة بن الخشرم أمام النقد النفسي والتحليلي، وتوضيح الآثار المترتبة على ذلك، ومن ثم جاء البحث ليعالج (أثر السجن والموت في شعر هذبة بن الخشرم) كما جاء في عنوانه.

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة محاور:

- مقدمة : (هدبة وهالات حبسياته)
- المحور الأول (أثر السجن في شعر هدبة) .
- المحور الثاني (أثر الموت في شعر هدبة) .
- المحور الثالث (شعر هدبة بن الخشرم في الميزان النقدي) .

حدود الدراسة:

ستقع حدود الدراسة في دراسة ديوان هدبة بن الخشرم العذري، جمع يحيى الجبوري، الطبعة الثانية دار القلم عام ١٩٨٩م

أهداف الدراسة:

- تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف لعل من أهمها:
- إلقاء الضوء على النتائج الشعري لهدبة بن الخشرم العذري .
 - دراسة أثر السجن على شعر هدبة بن الخشرم .
 - دراسة أثر ترقب الموت على شعر هدبة بن الخشرم العذري .
 - رصد إحدى حالات الضعف الإنساني لدى شاعر عربي .
 - الكشف عن شعر هدبة بن الخشرم ما بين المجموع والضائع .
 - وضع شعر هدبة بن الخشرم في ميزان النقد قديماً وحديثاً .

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج الوصفي، كما تعتمد الدراسة على تحليل النصوص تحليلًا منطقيًا، الأمر الذي يمكن من خلاله دراسة بنية النص وسبر أغواره للوصول للدلالات العميقة للنصوص.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

- كيف أثر السجن في شعر هدبة بن الخشرم؟
- كيف أثر ترقب الموت في شعر هدبة بن الخشرم؟
- ما الفرق بين شعر هدبة بن الخشرم قبل وبعد تجربة السجن وترقب الموت؟
- ما حجم النتاج الشعري الذي وصل إلينا من أشعار هدبة بن الخشرم؟
- كيف كان يرى النقاد القدامى شعر هدبة بن الخشرم؟
- كيف يمكن رؤية شعر هدبة بن الخشرم في ميزان النقد الحديث؟

الدراسات السابقة:

أثارت فكرة السجن حفيظة عدد من الباحثين، فجاءت الدراسات السابقة ما بين القديم والحديث، منها المطبوع ومنها المخطوط، ومن أهمها:

- السجون وأثرها في الآداب العربية من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي. واضح الصمد. وهو كتاب مطبوع تناول فيه السجون وأثرها منذ العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، وقد ذكر أسماء العديد من الشعراء الذين تعرضوا لتجربة السجن.

- الأسر والسجن في شعر العرب. تاريخ ودراسة.د. أحمد مختار البرزة . وهو كتاب مطبوع من مطبوعات علوم القرآن.
- شعر الأسر في العصر العباسي . محمد بلاجي . أطروحة دكتوراه بجامعة الحسن الثاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء ١٩٩٠م
- الشعر من وراء القضبان - اتجاهاته وخصائصه في ظل الدولة العباسية . شفيق عبد الرازق أبو سعده. أطروحة دكتوراه بكلية اللغة العربية بجامعة القاهرة ١٩٧٧م .
- شعر الأسر والسجن في الأندلس . جمع وتوثيق ودراسة . بسيم عبد العظيم عبد القادر. أطروحة دكتوراه. كلية الآداب جامعة عين شمس ، وقد طبعت بمكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٩٥م .
- الحبسيات في الشعر العربي. سكينه قدور. رسالة دكتوراه غير مطبوعة كلية الآداب جامعة منتوري قسنطينة بالجزائر.
- شعر الروميات لأبي فراس الحمداني . دراسة أسلوبية . عايدة سعدي . رسالة ماجستير غير مطبوعة بكلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة ٢٠٠٨م
- شعر السجون وقضاياها بين العربية والفارسية .دراسة مقارنة. زينب محمد إبراهيم الدسوقي. بحث منشور في مجلة قطاع الدراسات الإنسانية. مقال ٢ العدد ٢٥ لعام ٢٠٢٠م.

وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في تناول قضية السجن وما ينتج عنها من أثر على النتاج الأدبي والإنساني المتصل بالشعر العربي. وتختلف الدراسة الحالية عن بقية الدراسات السابقة في أنها تناقش قضية السجن وترقب الموت في شعر هدية بن الخشرم العذري وأثرهما على نتاجه الشعري، كما أنها

تناقش النتائج الشعري للشاعر ذاته في ميزان النقد. كما تناقش قضية نسبة الشاعر لـ " مدرسة عبيد الشعر " معتمدة على تحليل النتائج الشعري المجموع للشاعر في ديوانه.

المقدمة: (هدبة وهالات حبسياته):

هدبة بن الخشرم : هو هدبة بن خشرم بن كرز بن أبي حية بن الكاهن - وهو سلمة - بن أسحم بن عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن هزيم^١ ، وهو شاعر إسلامي فصيح، يكنى أبا سليمان^٢ ، وهو من قبيلة عذرة، ولذلك يلقب هدبة بالعذري؛ لأنه من رجال عذرة^٣. أوردت المصادر ترجمة له، كما اهتمت بقصته الشهيرة مع ابن عمه زيادة بن زيد؛ لتنتقل لنا خبر ما دار بينهما، وكيف انتهى المطاف بزيادة قتيلاً، وبهدبة سجيناً أ قيد منه، فقتل صبراً على يد المسور بن زيادة^٤.

^١ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ومحمود محمد غنيم ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م. ج ٢١ ص ٢٥٤.

^٢ معجم الشعراء للآمدي تحقيق ف. كرنكو ط ١ دار الجيل-بيروت ١٩٩١م ص ٤٦٠.

^٣ الاشتقاق لابن دريد تحقيق أ/ عبد السلام هارون ط دار الجيل بيروت لبنان ١٩٩١م ص ٥٤٧.

^٤ ينظر:

- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ومحمود محمد غنيم ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م. ج ٢١ ص ٢٥٤.
- الاشتقاق لابن دريد تحقيق أ/ عبد السلام هارون ط دار الجيل بيروت لبنان ١٩٩١م ص ٥٤٧.
- معجم الشعراء للآمدي تحقيق ف. كرنكو ط ١ دار الجيل-بيروت ١٩٩١م ص ٤٦٠.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢/ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف ١٩٦٧م ص ٦٩١.

ومعنى هذبة^١ اسم طائر، ويقال: هذبة واحدة الهدب وهي للثوب وللأرطي ، قال العجاج :

وَشَجَرُ الْهُدَابِ عَنْهُ فَجَعًا بِسَلْهَبَيْنِ فَوْقَ أَنْفٍ أَدْلَقَا

والخشم جماعة النحل وأميرها ويُنشد للشنفرى : (الطويل)

إِذَا الْخَشْرَمُ الْمُبْعُوثُ حَثَّحَتْ دَبْرَهُ مَحَابِيضُ أَرْسَاهُنَّ سَامٍ وَمُعْسِلُ

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ط١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٣م ص ٤٨٨ .
- شرح ديوان الحماسة للتبريزي للتبريزي ط١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م ص ١٣ .
- مادة (هدب) تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن عبد الرازق المرتضى الزبيدي طبعة الكويت ط٢ ص ٥١٣ .
- المحتضرين لابن أبي الدنيا تحقيق محمد خير رمضان يوسف ط١ دار ابن حزم ١٩٩٧م ١
- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام/محمد بن حبيب البغدادي تحقيق سيد كسروي حسن. طدار الكتب العلمية بيروت لبنان ٢٠٠١م ص ٢٥٦ .
- كتاب المحن للتميمي تحقيق يحيى الجبوري ط٣ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٦م ص ٢٢١ .
- تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق عمرو العمروي طدار الفكر ١٩٩٥م .
- منتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك تحقيق محمد نبيل الطريفي ط١ دار صادر بيروت ١٩٩٩م ص ٧٥١ .
- ^١ المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة لابن جني قرأه وشرحه وعلق عليه مروان العظيمة- شيخ الراشد ط١ دار الهجرة -دمشق ١٩٨٨م ص ٤٥

وهديبة من أسرة شاعرة، فأمه حية بنت أبي بكر بن أبي حية شاعرة، وإخوته حَوَظ
وسَيْحَان

والواسع كلهم شعراء^١، وأضاف الأمدى^٢ أخًا رابعًا لهديبة هو الأجدع بن خشرم العذري،
وأختاه شاعرتان أيضا وهما : سلمى التي تزوجها زيادة بن زيد الذي قتله هديبة، والثانية
فاطمة التي تغزل بها زيادة .

فهديبة نشأ في بيت شعري، يعج محيطه منذ نعومة أظفاره بالشعر والقصائد، الأمر
الذي خلق من هديبة شاعرًا متمكنًا من أدوات شعره .

ومما لا شك فيه أن حياة الإنسان هي أعلى ما يملك في رحلته الدنيوية، وتلك
الحياة التي تتشكل بمجموع المواقف والشدائد والعثرات، هي التي تشكل هيكل
شخصيته، وبناء مجموع كيانه البشري، ومن ثم تتحدد معالم شخصيته من تلك الخبرات
التي مر بها .

وكثيرًا ما تقف حياة الإنسان على حد سيف ومفترق طريق بسبب موقف، أو حتى
كلمة يقولها ؛ فتتحول حياته من نقيض إلى نقيض، بل تتبدل شخصيته من مجموع ما
خامرت من شدائد أو مواقف، جزاء تلك الكلمة أو ذاك الفعل .

وبالنظر في حياة هديبة بن الخشرم العذري ندرك من الوهلة الأولى أن حياته قد
سلكت هذا المسار، من التحول إلى النقيض؛ بسبب تلك المحنة التي مر بها في
سجنه، وانتظاره للموت وترقبه له بين مهابة ورجاء .

^١ ينظر الأغاني لأبي الفرج ج ٢١ ص ٢٥٤

^٢ المؤلف والمختلف للأمدى تحقيق عبد الستار فراج . ط الحلبي ١٩٦١م ص ٦٢

إن من يفر شعر هدبة بن الخشرم يلحظ ذلك الاختلاف الأسلوبي والفني في شعره، جراء تلك الأحداث التي مر بها منذ خصومته مع ابن عمه وصهره ، مروراً بالسجن، حتى أقيد منه ، يرى هذا البون الشاسع في أسلوب هدبة قبل قتله ابن عمه وبعد سجنه.

وكيف حول كل ذلك هدبة من شاعر يفخر كثيراً بنفسه، ويعتد بذاته اعتداد البطل، الذي لا يخشى أحدًا ، والذي لا يرى خيرًا في المرء إلا في شجاعته وإقدامه حيث يقول : (الرجز)^١

إِنِّي إِذَا اسْتَخَفَى الْجَبَانُ بِالْخَدْرِ

وَكَانَ بِالْكَفِّ شَهَابٌ كَالشَّرْرِ

صَدَقُ الْقَنَاةَ غَيْرُ شَعَشَاعِ الْعُدْرِ

حَمَّالٌ مَا حُمِلْتُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرِّ

وهذا هو هدبة البطل ، الذي يرى أن الشجاعة والبرسالة في الحرب والطعان؛ لتصبح (أخو الحرب) عبارة تملأ شعر هدبة، مثلما كانت تملأ حياته وقلبه قبل سجنه . يقول : (الطويل)^٢

وَلَيْسَ أَخُو الْحَرْبِ الشَّدِيدَةَ بِالَّذِي إِذَا زَيْنَتْهُ جَاءَ لِلْسَّلْمِ أَخْضَعًا

وَلَكِنْ أَخُو الْحَرْبِ الْحَدِيدُ سِلَاحُهُ إِذَا حَمَلْتُهُ فَوْقَ حَالٍ تَشَجَّعًا

^١ ديوان هدبة بن الخشرم العذري تحقيق يحيى الجبوري ط٢ دار القلم ١٩٨٦م ص ١٠٩

^٢ السابق ص ١١٧-١١٨

أخو الحرب لا يتأذ للحرب متته ولا يظهر الشكوى إذا كان موجعا
ركوب على أثابجها متخوف لعوراتها ينمي إذا الثقل أضلعا

وبالتدقيق أيضا في شعر هذبة يلحظ إقدامه على الموت ، وعدم خشيته منه قبل حادثة
زيادة، بل يرحب بالموت وقت نزوله. يقول: (الرجز)^١

أحوس في الحى وبالرُمح خطل
ما أحسن الموت إذا الموت نزل
قد علمت أنني إلى الهيجا عجل
إني امرؤ لا أقرب الضيم بغل

لترى بعد سجنه مدى تشوفه للحياة، وتمسكه بكل ألوانها حيث يقول: (الطويل)^٢

وللدهر في أهل الفتى وتلاده نصيب كقسم اللحم أو هو أبرخ
وحب إلى الإنسان ما طال عمره وإن كان يشقى في الحياة
ويقبح

تعرهم الدنيا وتأميل عيشها ألا إنما الدنيا غرور مترح

ولحظة تأمل في شعر هذبة تدلنا على البون الشاسع في موقفه وحياته قبل مقتل زيادة
بن زيد وبعده، فهذبة قبل الحادثة شاعر يعتد بذاته وبقبيلته، لا يرى فضلا لأحد عليه،

^١ ديوان هذبة بن الخشرم العذري ص ١٣٩ ، ١٤٠

^٢ السابق ص ٨٤

ولا يرى قبيلة أفضل من قبيلته، فهو ابن الكرام وأصحاب الحمى والمعالي . يقول :
(الطويل)^١

أَنَا الْمَرءُ لَا يَخْشَاكُمْ إِنْ غَضِبْتُمْ	وَلَا يَتَوَقَّى سُخْطَكُمْ إِنْ تَغَضَّبَا
أَنَا ابْنُ الَّذِي فَادَاكُمْ قَدْ عَلِمْتُمْ	بِبَطْنِ مَعَانٍ وَالْقِيَادِ الْمُجَنَّبَا
وَجَدِّي الَّذِي كُنْتُمْ تَظْلُونَ سُجْدًا	لَهُ رَغْبَةً فِي مُلْكِهِ وَتَحْوُبَا
وَتَحْنُ رَدَدْنَا قَيْسَ عِيْلَانَ عَنْكُمْ	وَمَنْ سَارَ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَأَلَّبَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا نُدَبِّبُ عَنْكُمْ	إِذَا الْمَرءُ عَنْ مَوْلَاهُ فِي الرَّوْعِ دَبَّبَا
وَأَنَا نُرَكِّبُكُمْ وَنَحْمِلُ كَلَّكُمْ	وَنُجْبِرُ مِنْكُمْ ذَا الْعِيَالِ الْمُعَصَّبَا
وَأَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ دَوَّخَ دَرُبْنَا	لَكُمْ مَشْرِقًا فِي كُلِّ أَرْضٍ وَمَغْرِبَا

ويؤكد على ولائه لقبيلته وحبه لها، وأنه شاعرها المدافع عنها مهما جرت الأحداث،
ومهما حدثت الحوادث.

فيقول : (الوافر)^٢

إِنِّي مِنْ قُضَاعَةٍ مَنْ يَكِدْهَا	أَكِدُهُ وَهِيَ مِنِّي فِي أَمَانِ
وَلَسْتُ بِشَاعِرِ السِّفْسَافِ فِيهِمْ	وَلَكِنْ مِدْرَةُ الْحَرْبِ الْعَوَانِ
سَاهَجُوا مَنْ هَجَاهُمْ مِنْ سِوَاهُمْ	وَأَعْرِضُ مِنْهُمْ عَمَّنْ هَجَانِي

^١ نفسه، والأبيات مختصرة بتصريف ص ٧٠-٧١.

^٢ ديوان هذبة بن الخشرم العذري ص ١٤٦.

لنتحول كل ألوان الجراءة والجسارة قبل سجنه إلى الحكمة والتعقل بعد سجنه، ومن الفخر بالذات إلى مراجعة النفس ولومها، ومن التعمد والإصرار على قتل العدو والمنافس، إلى الإيمان بالقدر والمشئنة في كل ما فعل، بل ومحاولة إقناع الحاكم بذلك، فتراه يقف بين حالين، حال الشاعر الذي يقتل ولا يرى لخصمه الحق في رد القتل، وبين الذي يؤمن بالله ويرجع فعلته إلى القدر، فهو بين نقيضين، يوضحان أثر السجن وترقب الموت على شعره وأسلوبه. يقول: (البسيط)^١

لَنَجْدَعَنَّ بِأَيْدِينَا أَنْوَفَكُمْ وَيَذْهَبُ الْقَتْلُ فِيمَا بَيْنَنَا هَذَرًا

ليقول: (الطويل)^٢

رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ سَهْمُنَا مَنِيَّةَ نَفْسٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدْرِ

نلاحظ من ذلك كل هذا التحول، ليس على مستوى الذات فحسب، بل على المستوى الفني جراء الأحداث التي مر بها، وكيفية وقع ذلك على شعره وأسلوبه، على النحو الذي بدل من إقاعه وألفاظه ومفرداته، بل وجمله وتراكيبه، على النحو الذي سوف يوضحه الباحث في عناصر البحث .

^١ السابق ص ٩٩ .

^٢ نفسه ص ١٠٤ .

المحور الأول : أثر السجن في شعر هدبة بن الخشرم

أورد أبو الفرج خبر هدبة بن الخشرم^١ وسبب سجنه ، حيث قال : إن حوط بن خشرم أبا هدبة راهن زيادة بن زيد على جملين من إبلهما ، وكان مطلقهما من الغاية على يوم وليلة، وذلك في القيظ، فتزودوا الماء في الزوايا والقرب، وكانت أخت حوط سلمى بنت خشرم تحت ابن زيد ، فمالت مع أخيها على زوجها ، فوهنت أوعية زيادة، ففنى ماؤه قبل ماء صاحبه فقال زيادة (الرجز)

قَدْ جَعَلْتُ نَفْسِي فِي أَدِيمٍ مُحَرَمِ الدِّبَاغِ ذِي هُرُومِ

ثُمَّ رَمَتْ فِي عُرْضِ الدَّيْمُومِ فِي بَادِحٍ مِنْ أَوْهَجِ السَّمُومِ

عِنْدَ اِطِّلَاعِ وَغَرَّةِ النُّجُومِ

فكان ذلك أول ما أثبت الضغائن بينهما. ثم توالى الأحداث على إثر ذلك، ثم ذهب زيادة يرتجز مشبها بفاطمة أخت هدبة؛ ليشير غضب هدبة، الذي قام بدوره بالرد على رجز زيادة؛ ليقبها سجالا شعريا ، يدفع كل واحد منهما صاحبه للحنق دفعا، فمما قاله زيادة في أخت هدبة : (الرجز)^٢

عُوجِي عَلَيْنَا وَارْبِعِي يَا فَاطِمَا مَا دُونَ أَنْ يُرَى الْبَعِيرُ قَائِمَا

أَلَا تَرَيْنَ الدَّمْعَ مِنِّي سَاجِمَا حِدَارَ دَارٍ مِنْكَ لَنْ تُلَاقِمَا

^١ ينظر الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٢٧٨/٢١ وما بعدها.

^٢ الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٩١/٢ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف ١٩٦٧م.

فَعَرَجْتُ مُطَرِّدًا عُرَاهُمَا فَعَمَّا يَبْزُ القُطْفَ الرِّوَاسِمَا

كَأَنَّ فِي المَثْنَاةِ مِنْهُ عَائِمَا إِنَّكَ وَاللَّهِ لَأَنْ تُبَاغِمَا

خَوْدًا كَأَنَّ البُوصَ وَالْمَاكِمَا مِنْهَا نَقًّا مُخَالِطٌ صَرَائِمَا

فزيادة هنا يذكر أخت هدبة ويشبب بها في غزل فاضح، ويذكر أنه التقى بها في موضع ما وقد عرجت عليه ببعيرها، ويذكر أنه قد رأى منها واستمتع بها فصادف منها جمالا لم يره في غيرها.

فغضب هدبة ورجز بأخت زيادة، وكان يقال لها أم القاسم، وأجاب صاحبه قائلا:
(الرجز)¹

لَقَدْ أَرَانِي وَالْعُلَامَ الحَازِمَا نُزْجِي المَطِيَّ ضُمْرًا سَوَاهِمَا

مَتَى تَنْظُنُّ القُلُوصَ الرِّوَاسِمَا وَالجِلَّةَ النَّاجِيَةَ العِيَاهِمَا

سَيَبْلُغُنَّ أُمَّ قَاسِمٍ وَقَاسِمَا

ومنها أيضا قوله : (الرجز)²

وَاللَّهِ لَا يَشْفِي الفُؤَادَ الهَائِمَا تَمْسَاخُكَ اللِّبَاتِ وَالْمَعَاصِمَا

وَلَا اللِّمَامُ دُونَ أَنْ تُلَازِمَا وَلَا اللِّزَامُ دُونَ أَنْ تُفَاقِمَا

وَتَعْلُو القَوَائِمُ القَوَائِمَا

¹ ديوان هدبة بن الخشرم العذري ص ١٤١.

² السابق ص ١٤٤-١٤٥.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تخطاه إلى الهجاء والسباب ، الأمر الذي دفع الطرفين إلى إشهار السيوف، فأغار زيادة على أهل هدبة، فأصيب هدبة في ذراعه، وأصيب والده بشجات في رأسه ، وقيل إن نفاعا ضرب ريحانة أم هدبة برجله^١، وراح زيادة يصور ذلك بمذياح شعره فقال:(الوافر)^٢

شَجَجْنَا خَشْرَمًا فِي الرَّأْسِ عَشْرًا وَخَزَعْنَا هُدَيْبَةَ إِذْ هَجَانَا

كَذَلِكَ الْعَبْدُ إِنَّ الْعَبْدَ يَوْمًا إِذَا وَقَفْتَهُ بِالسَّيْفِ لَانَا

تَرْكْنَا بِالْعَوَيْدِ مِنْ حُسَيْنٍ نِسَاءَ الْحَيِّ يَلْقُطَنَّ الْجَمَانَا

لكن هدبة جمع رهطا من قومه وأصحابه ورد الكيل إلى زيادة وقومه، فأغاروا عليهم ليلا ، فقتل يومها زيادة، وجدع يومها أنف هدبة، فكانت نهاية زيادة القتل، وآل الأمر بهدبة إلى السجن، فسجن بالمدينة إلى أن يبلغ المسور بن زيادة سن القصاص لأبيه .

مكث هدبة في سجن المدينة يعاني طول الوقت وألم فراق الأحبة، ويتجرع بحور الندم، ويزرف دموع التوبة، على الرغم من كونه يظهر للجميع قوة وثباتا منقطعا النظير .

ولما فشلت محاولات قبول الدية والعفو عنه يئس هدبة من الخروج والنجاة ؛ فراح يطلق من خلف أسوار سجنه بحور شعر مزجت بمرارة السجن، ويبدع قافية قيدها

^١ شرح الحماسة - التبريزي ١٤/٢ شرح ديوان الحماسة للتبريزي ط١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.

^٢ شرح الحماسة ١٤/٢ ، وانظر أبياتا منها في الشعر والشعراء ٦٩٢/٢، وشرح شواهد المغني

الحديد ؛ ليضرب لنا أروع الأمثال لحال شاعر استطاع أن يصف وبدقة نفسية السجين وما يعتريها من خلجات ومشاعر متضاربة، تختلف بحاله يأساً وأملاً، حنيناً وتفرداً، خوفاً من القادم وطمعا في عفو الله وكرمه .

جاء شعر هدية ليصف السجن وليله الكئيب، وأسواره المنيعه التي تحجب عنه أحبته، ويصف تلك الأغلال التي قيدته، وتلك الهموم التي لا يقوى عليها إلا بالتصبر، ويصف زفريات صاحبه المكومه والتي يحاول أن يدفعها بالأمل.

صور هدية السجن بمكان مظلم، له شرفات عالية للحراسة، ومراقب كثيرة، وأن له أبواباً ضخمة صنعت من حديد، عليها حراس يرنون إليه ما بين آونة وأخرى، في حركة رتيبة، ولا يعرف من الألوان إلا لون الظلمة القاتمة، أو تلك الظلمة التي عبث بقاتمها ضوء خافت، وهو لا يسمع إلا صوت قعقة الحديد في قدميه، أو صوت سلاسل السجن، أو خطى مشيه، أو صرير الباب حين يفتح. فنراه تارة يخبر زوجته وأهله أن هذا السجن هو الذي يقف حائلاً بينه وبينهم، وأن تلك القيود هي التي تمنعه من زيارتهم حيث يقول: (الطويل)^١

وَإِنِّي عَدَانِي أَنْ أُرْزَكِ مُحَكِّمٌ مَتَى مَا أَحْرَكُ فِيهِ سَاقِي يَصْخَبُ
حَدِيدٌ وَمَرْصُوصٌ بِشَيْدٍ وَجَنْدَلٍ لَهُ شُرْفَاتٌ، مَرْقَبٌ فَوْقَ مَرْقَبٍ
يُخَبِّرُنِي تُرَاعُهُ بَيْنَ حَلْقَةٍ أُرُومٌ إِذَا عَصَّتْ، وَكَبَلٌ مُصَبَّبٌ

وتزعجه تلك السلاسل والقيود التي تعيق حركة قدميه فيقول: (الطويل)^٢

^١ شعر هدية بن الخشرم العذري د. يحيى الجبوري ص ٧٦

^٢ السابق ص ١٠٦.

وَلَمَّا دَخَلْتُ السِّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكَرْتُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلْقِ سُمْرٍ

وتارة يشكو من سب السجان له، وهو الكريم، فلا يملك إلا التصبر.

فيقول: (الطويل)^١

لَعَمْرِي لِأَنَّ أُمْسَيْتُ فِي السِّجْنِ عَانِيَا عَلَيَّ رَقِيبٌ حَارِسٌ مُتَّقِفٌ

إِذَا سَبَّنِي أَغْضَيْتُ بَعْدَ حَمِيَّةٍ وَقَدْ يَصِيرُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيُعْرِفُ

لَقَدْ كُنْتُ صَعْبًا مَا تُرَامُ مَقَادَتِي إِذَا مَعَشَرَ سِيمُوا الْهَوَانَ فَأَحْنَفُوا

ويؤرقه جزع ابن عمه الذي سجن معه، فيحاول أن يزين له الصبر والأمل فيقول:

(الوافر)^٢

يُؤْرِقُنِي اكْتِتَابُ أَبِي نُمَيْرٍ فَقَلْبِي مِنْ كَاتِبِهِ كَنِيْبُ

فَقُلْتُ لَهُ هَذَاكَ اللَّهُ مَهْلًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ ذُو اللَّبِّ الْمُصِيبُ

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسَيْتَ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرْجٌ قَرِيبُ

فَيَأْمُنُ حَائِفٌ وَيَقُكُ عَانٍ وَيَأْتِي أَهْلُهُ النَّائِي الْعَرِيبُ

ويحن في سجنه إلى زوجته، ويتذكرها، غير أنه لا سبيل للقياما، فيقول: (الطويل)^٣

وَلَمَّا دَخَلْتُ السِّجْنَ يَا أُمَّ مَالِكٍ ذَكَرْتُكَ وَالْأَطْرَافُ فِي حَلْقِ سُمْرٍ

^١ شعر هدية بن الخشرم العذري د. يحيى الجبوري ص ١٢٣

^٢ السابق ص ٧٦

^٣ نفسه ص ١٠٦

وَعِنْدَ سَعِيدٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ أَنْجِ بِهِ نَكَرْتُكَ إِنَّ الْأَمْرَ يُذَكَّرُ بِالْأَمْرِ

ويصف هدبة حاله في السجن وهزاله، والسلاسل تقيدته، حين زارته زوجته قبيل مقتله، بإذن من والي المدينة، فقد راودها عن نفسها فطاوعته، فلما سمعت قعقعة الحديد اضطربت، فتحنى عنها؛ ليصف لنا أقوى الخلجات النفسية التي تعترى السجين، حين ينفر منه أقرب الناس إليه. فيقول: (الطويل)^١

وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا جَعَلْتَنِي لَدَى الْخَصْرِ أَوْ أَدْنَى اسْتَقْلَكِ رَاجِفٌ

فَإِنْ شِئْتَ وَاللَّهِ انْصَرَفْتُ وَإِنِّي مِنْ أَنْ لَنْ تَرَيْنِي بَعْدَ هَذَا - لَخَائِفٌ

رَأْتُ سَاعِدِي غَوْلٍ وَتَحْتِ ثِيَابِهِ جَنَاحِنَ يُدْمِي حَذُّهَا وَقَرَّاقِفُ

وَقَدْ شِئْتُ أُمَّ الصَّبِيِّينَ أَنْ رَأْتُ أَسِيرًا بِسَاقِيهِ نُدُوبٌ نَوَاسِفُ

فَإِنْ تُنْكِرِي صَوْتَ الْحَدِيدِ وَمَشْيِهِ فَإِنِّي بِمَا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ عَارِفُ

وَإِنْ كُنْتُ مِنْ خَوْفٍ رَجَعْتُ فَإِنِّي مِنْ اللَّهِ وَالسُّلْطَانَ وَالْإِثْمَ رَاجِفُ

وَقَدْ رَعَمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّينَ أَنِّي أَقْرَ فُؤَادِي وَأَزْدَهْتَنِي الْمَخَافُ

وَقَدْ عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّينَ أَنِّي صَبُورٌ عَلَى مَا جَرَفْتَنِي الْمَجَارِفُ

^١ نفسه ص ١٢٨

وعلى الرغم من تلك الهموم والكآبة إلا أن هدبة موقن بمغفرة الله، طامح لعفوه، طامع في مغفرته، فهو مسلم، يؤمن بالله وقدره الذي قدره على عبادته، ويعلم أن الأمر كله بيد الله. فيقول: (الطويل)^١

أَ ذَا الْعَرْشِ إِنِّي مُسَلِّمٌ بِكَ عَائِدٌ مِنْ النَّارِ نُو بَتِّ إِلَيْكَ فَتَبِيرُ
بَغِيضٌ إِلَيَّ الظُّلْمُ مَا لَمْ أُصَبْ بِهِ مِنْ الظُّلْمِ مَشْعُوفُ الْفُؤَادِ نَفِيرُ
وَإِنِّي إِنْ قَالُوا: أَمِيرٌ وَتَابِعٌ وَخِرَّاسٌ أَبْوَابٍ لَهْنٌ صَرِيرُ
لَأَعْلَمَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ أَمْرُكَ إِنْ تُدِنُ فَرَبِّ وَإِنْ تَعْفِرُ فَأَنْتَ عَفُورُ

وبالنظر في الشعر الذي قاله هدبة بن الخشرم في سجنه تجد أن السجن أثر في شعر هدبة تأثيراً واضحاً، فقد أثر السجن على أسلوب هدبة الشعري، فأكسب شعره مسحة حزينة، وصبغه بلون فريد، ذلك الشعر الذي اكتسى بقتامة ظلمة السجن وحزن السجين، فقد حمل الشاعر شعره الذي وصل إلينا في السجن جل ما اختبره من تلك المشاعر المضطربة، والأحاسيس التي تمثل تشكلات الضعف الإنساني من اضطرابات الشعور والنفس السجينة. فقد حمل هدبة شعره مشاعر مضطربة ومختلفة، ففي قمة ضعفه نجده صابراً محتسباً، يعلل نفسه بالأمل والصبر.

ولا يخفى على المتأمل في شعر هدبة تلك النبرة الحزينة، التي أضفت على شعره لوناً موسيقياً فريداً من نوعه؛ فهو يزاوج بين البحور في رقة ومسحة حزينة، غير أن بحر الطويل قد غلب على تلك البحور؛ ليعطي للشاعر متفناً واسعاً لظرفاته المكلومة.

^١ شعر هدبة بن الخشرم ص ٩١

أما جمل شعره فقد جاءت جملاً سهلة، واضحة لا تعقيد فيها، أكبر همها وصف ما يجيش في صدر الشاعر من هموم وأحزان . يقول (الوافر)^١

طَرِبْتَ وَأَنْتَ أَحْيَانًا طَرُوبٌ وَكَيْفَ وَقَدْ تَعَلَّكَ الْمَشِيبُ
يُجِدُ النَّأْيُ ذِكْرَكَ فِي فُؤَادِي إِذَا ذَهَلَتْ عَنِ النَّأْيِ الْقُلُوبُ
يُؤَرِّقُنِي اكْتِنَابُ أَبِي نُمَيْرٍ فَقَلْبِي مِنْ كَابَتِهِ كَنُيبُ
فَقُلْتُ لَهُ هَذَاكَ اللَّهُ مَهْلًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ ذُو اللَّبِّ الْمُصِيبُ

أما أسلوبه البلاغي فهو أسلوب شيق رشيق، فهو يستخدم ألواناً بيانية تخدم المعنى، كالتشبيه والاستعارة، وبنوع بين الأساليب، تارة الخبري، وتارة الإنشائي، كما يستخدم التضاد والمقابلة بصورة سهلة واضحة ليؤكد على المعنى ويقويه. فعلى سبيل المثال قوله: (الطويل)^٢

وَلَا أَرْكَبُ الْأَمْرَ الْمُدَوِّيَ غُمَّةً بَعْمِيَانِهِ حَتَّى أُرُورَ فَأَنْظُرَا
كَمَا تَعْمَلُ الْعَشْوَاءُ تَرْكَبُ رَأْسَهَا وَتَتَرَكُّ جَنْبًا لِلْمَعَاذِرِ مُعُورَا

كما يجيء التكرار والتوازي في شعر هذبة بصورة توضح مدى التنازع النفسي الذي يعتور نفسية الشاعر

^١ السابق ص ٥٧، ٥٨، ٥٩

^٢ نفسه ص ١٠٠

ويسيطر عليها، ونجد التكرار والتوازي في شعره الذي تحدث عن السجن من مثل قوله: (الطويل)^١

وَقَدْ رَعَمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّينِ أَنَّنِي أَقْرَ فُؤَادِي وَأَزْدَهْتَنِي المَخَاوِفُ

وَقَدْ عَلِمْتُ أُمَّ الصَّبِيِّينِ أَنَّنِي صَبُورٌ عَلَى مَا جَرَفْتَنِي الجَوَارِفُ

ويجيء معجم الشاعر ليؤكد على حاله وما يقاسيه من ويلات السجن وآلامه، تجد أنه يستخدم ألفاظا مثل (أسير - حزين - كئيب - سجن - أغلال - حديد - قيود - خوف - كرب - هون - عانٍ - دار بلوى - رقيب - حارس - سبني - الهوان - الصبر ، إلخ) . الأمر الذي يصور لنا مدى هول ما كان يعانيه الشاعر من سجنه وسجانه، ليصور أعق لحظات الضعف الإنساني في صورة بديعة خلّاقة.

ومما سبق يتبين لنا أثر السجن في شعر هديبة بن الخشرم، وكيف ميز شعره بميزة فنية أعطت لهديبة طابعًا خاصًا عرف به ، واشتهر به عند النقاد .

^١ شعر هديبة بن الخشرم. ص ١٢٩

المحور الثاني : أثر الموت في شعر هدية بن الخشرم

ما من شاعر إلا وألحت عليه فكرة الموت والفناء، فسلمها إلى شيطان شعره ليجسدها له خيالاً وشعراً، ويرسمها له لوحة فنية في فضاءات الإبداع الأدبي، فتتجلى قصيدة شعرية بقالب مباشر أو رامز، لتعطي خلاصة لب عن حتمية الوجود والفناء، لتظل تجربة متخيلة، ومعرفة تراكمية بالنسبة للشاعر لم تُعش بعد.

لكن هدية بن الخشرم سبح بخيال شعره في فضاء الموت كتجربة حقيقية معاشة، وأمر حتمي آلت إليه حياته كسجين حكم عليه بالموت صبراً؛ فعاش تجربة الموت لحظة بلحظة، واختبر كل طعم له، من حزن، وألم، ومرارة فراق، وندب شباب ضاع للحظة طيش دفع إليها دفعاً، وتصبر وإيمان بالله، ورجاء للعفو، وغير ذلك.

فالحديث عن الموت في شعر هدية أمر طبيعي، فهو سجين حكم عليه بالموت، بعدما فشلت محاولات قبول الدية والعفو عنه، وقد بلغ المسورين زيادة سنّاً تسمح له بالقصاص من قاتل أبيه، وهدية قد أقرّ بالموت في شعره، متصبراً تارة، ودامعاً حزيناً تارات.

ففي البداية يلحظ بعض الأمل في شعره، فهو متصبر أمل في الحياة والعفو حيث يقول: (الوافر)^١

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيَتْ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

فَيَأْمَنُ خَائِفٌ وَيَقْكُ عَانَ وَيَأْتِي أَهْلَهُ النَّائِي الْغَرِيبُ

^١ السابق ص ٥٩

ولكن سرعان ما ينقطع الأمل، ويبقى أمام هدبة الإقرار بحتمية الموت؛ فيوطن نفسه على قبوله، فهو عنده بوقت وميعاد مقرراً فرار منه حيث يقول: (الوافر)^١

عَلَى أَنَّ الْمَنِيَّةَ قَدْ تُؤَافِي لَوْقَتِ وَالنَّوَائِبُ قَدْ تُنَيِّبُ

كما يقول: (الطويل)^٢

وَلَكِنْ أَرَى أَنْ الْفَتَى عُرْضَةُ الرَّدَى وَلَاقِي الْمَنَايَا مُصْعِدًا وَمُفْرِعًا

وعلى الرغم من إقراره بضرورة الموت وحتميته، ووجوب ميعاده المحدد، إلا أن هدبة يقر أنه هو من تسبب في قتل نفسه، وأن الموت كان نتاجاً لما صنع، فهو من حفر قبره بأنامله كما يقال ، فوجد هدبة يقول: (الطويل)^٣

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَتَّبِكِ عَيْنُكَ إِنَّهُ بِكَفِي مَا لَا قَيْتُ إِذْ حَانَ مُوجِبِي

ولما دنا هدبة من الموت، وأصبح منه قاب قوسين أو أدنى، تلهف على نفسه، وعلى فراق أحبته، ويندب نفسه قبل أن تتعي، فهذا الغراب يخبره بميقات حيينه؛ فتستشعر ذاته الفراق والوحشة من أحبته فيقول: (الوافر)^٤

أَلَا نَعَقَ الْغُرَابُ عَلَيْكَ ظَهْرًا أَلَا فِي فِيكَ مِنْ ذَلِكَ التُّرَابُ

يُخَبِّرُنَا الْغُرَابُ بِأَنْ سَتْنَايَ حَبَائِبُنَا فَقَدْتُكَ يَا غُرَابُ

^١ نفسه ص ٦٣

^٢ شعر هدبة بن الخشرم العذري د. يحيى الجبوري ص ١١٣

^٣ السابق ص ٧٨

^٤ نفسه ص ٦٣

وحيثما يخلو هدبة إلى نفسه، ويتفكر في حاله وما سوف يحدث له قبل وبعد موته، وأنه سوف يتوسد لحدّه وحيداً، ويتركه كل الأهل والأصحاب ليقاسي الظلمة والوحشة في أرض جرداء، فينوح على نفسه قائلاً: (الطويل)^١

أَلَا عَلَّانِي قَبْلَ نَوْحِ النَّوَائِحِ وَقَبْلَ اضْطِرَاعِ النَّفْسِ بَيْنِ الْجَوَائِحِ
 وَقَبْلَ غَدِّ يَا لَهْفِ نَفْسِي عَلَى غَدِّ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَائِحِ
 إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي بِقَيْضِ دُمُوعِهِمْ وَغُودِرْتُ فِي لَحْدٍ عَلَى صَفَائِحِي
 يَقُولُونَ هَلْ أَضَلَّحْتُمْ لِأَخِيكُمْ وَمَا الرَّمْسُ فِي الأَرْضِ القَوَاءِ بِصَالِحِ
 يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي وَلَيْسَ مَكَانُ البُعْدِ إِلَّا صَرَائِحِي

ففي مثل هذه الأبيات يخيم شبح الموت بكل تفاصيله على روح هدبة المثقلة بالحسرة والندم، المؤرقة بالحزن على ما آلت إليه الظروف، المتلهفة على فراق الأهل والأصحاب، وفيها تلك النزعة الإنسانية من الخوف من القبر وظلمته، واللحد ووحشته، تلك التجربة الصادقة صاغها الشاعر أبياتاً، لو أنها عقدت لصارت عقداً من الدمع لا من الكلمات.

ويلحظ في قول هدبة " يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي " أن هذا الشطر ما أكثر ما رده الشعراء قبله مثل (مالك بن الربيع التميمي) في بانيته المعروفة، والتي مطلعها " ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... " ، والتي قالها أول عهد عثمان بن عفان .

والطريف أن هدبة في وسط تلك الأمواج المتلاطمة حزناً وأسفاً وحسرة، يظهر تصبراً فريداً من نوعه، مهوئاً الأمر على نفسه، طالبا ممن هم حوله التحلي بالصبر والإيمان، مذكراً الجميع بقضاء الله وقدره، حيث يخاطب

^١ نفسه ص ٨٩

والديه قائلاً: (الرملة)^١

أَبْلِيَانِي الْيَوْمَ صَبْرًا مِثُّكُمْ
 إِنَّ حُزْنَآ مِثُّكُمْ عَاجِلُ ضُرِّ
 لَا أَرَى ذَا الْمَوْتِ إِلَّا هَيْئًا
 إِنَّ بَعْدَ الْمَوْتِ دَارَ الْمُسْتَقَرِّ
 اصْبِرَا الْيَوْمَ فَإِنِّي صَابِرٌ
 كُلُّ حَيٍّ لِقَضَاءٍ وَقَدَرٌ

ولم يقف تصبره عند ذلك الحد، بل تخطاه إلى إظهار القوة وعدم التضعف خشية شماتة الأعداء فيقول: (الوافر)^٢

أَشَدُّ قِبَالَ نَعْلِي أَنْ يَرَانِي
 عَدُوِّي لِلْحَوَادِثِ مُسْتَكِينًا

والأمر الذي يجدر الالتفات إليه، تلك الأبيات التي خاطب بها زوجته، موجها إليها وصية عجيبة، فيوصيها أنها إذا أرادت أن تتزوج بعد موته أن تتزوج صاحب صفات حسنة، كريماً ماجداً، يصلح أن يكون خليفة له؛ فنجده يقول: (الطويل)^٣

فَأَوْصِيكَ إِنْ فَارَقْتَنِي أُمَّ عَامِرٍ
 وَبَعْضُ الْوَصَايَا فِي أَمَاكِنَ تَنْفَعَا
 وَلَا تَنْكِحِي إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا
 أَعْمَ الْقَفَا وَالْوَجْهَ لَيْسَ بِأَنْزَعَا
 مِنْ الْقَوْمِ ذَا لَوْنَيْنِ وَسَعَ بَطْنُهُ
 وَلَكِنْ أَدْيَا حُلْمُهُ مَا تَوَسَّعَا
 كَلِيلًا سِوَى مَا كَانَ مِنْ حَدِّ ضِرْسِهِ
 أَكْبِيرُ مِبْطَانَ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعَا

^١ شعر هذبة بن الخشم العذري د. يحيى الجبوري ص ١٠٧

^٢ السابق ص ١٤٨

^٣ نفسه ص ١١٣-١١٦

صُرُوبًا بِلَحِينِهِ عَلَى عَظْمِ زَوْرِهِ
 إِذَا الْقَوْمُ هَشُّوا لِلْفِعَالِ تَقَنَعًا
 وَلَا قَرَزَلًا وَسَطَ الرِّجَالِ جُنَادِفًا
 إِذَا مَا مَشَى أَوْ قَالَ قَوْلًا تَبَلَّتْ عَا
 وَكُونِي حَبِيبًا أَوْ لِأُرْوَعِ مَا جِدِ
 وَصَوْلٌ وَدُوْ أَكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ
 وَصَبْرًا إِذَا مَا الدَّهْرُ عَضَّ فَأَوْجَعَا

وتلاحظ أيضا في شعر هدية تلك المسحة الدينية، والإيمان بقضاء الله، والتوجه إليه، وطلب مغفرته، والأمل في عفوهِ؛ فهو مسلم عائد بالله، يؤمن أن الأمر كله بيد الله، على النحو سالف الذكر.

ومما سبق يتضح لنا مدى أثر الموت في شعر هدية بن الخشم؛ فقد كان لوقع الموت في نفسه بالغ الأثر على شعره، فيلاحظ ذلك الحزن الذي خيم على الأبيات؛ فكساها ثوب الظلمة، كما يلحظ ذلك الألم على فراق الأهل والأصحاب؛ فراح الشاعر يصف موضع دفنه، ووحدته في لحدهِ؛ كما أشبع الأبيات بموسيقاه الحزينة التي تتناسب مع حال الشاعر وصدق تجربته، يظهر فيها بحر الطويل وهو الأمر الذي يمنح الشاعر متفصلاً لوجده .

ومن ناحية الأسلوب البلاغي؛ فمن الواضح جلياً أن هدية لا يعقد التركيب، ولا يعمق الصورة، فهو يسخر البيان بما يخدم المعنى، فصوره قريبة وواضحة، يتكئ على التشبيه تارة، وعلى الاستعارة تارة أخرى، فمن ذلك قوله (وَلَأَقِي الْمَنَايَا مُصْعِدًا وَمُفْرِعًا)، أو استخدام الكناية من مثل قوله (أَلَا نَعَقَ الْغُرَابُ عَلَيْكَ ظُهُرًا)، كما أنه يستخدم التضاد والمقابلة للتأكيد على المعنى المراد وتقويته من ذلك (راح أصحابي - غودرت - لست برائح ، لا تبعد - يدفنونني، أصلحتم لأخيكم - ما الرسم بصالح).

كما يلحظ التكرار في أبيات هذبة التي تحدثت عن الموت على مستوى اللفظة والجملة على حد سواء، مما يدل على مدى وقع تلك الكلمات في نفس الشاعر، ومدى ما يعانیه من مرارة حزن وفقد لأحبته من ذلك (ألا نعق الغراب- يخبرنا الغراب - فقدتك يا غراب ، لا أرى ذا الموت إلا هينا - إن بعد الموت دار المستقر) .

ويظهر من معجم الشاعر مدى مرارة الحزن والكآبة، من خلال مفردات الموت مثل (كئيب- حزين - كرب - خائف- الموت- المنايا- الجزع- الهول - المنية - القضاء- القدر- القبر - الغراب-الفراق - الرسم -يدفنونني -فقدتك - نعق- التراب- اللحد- نوح النوائح- راح أصحابي- دموعهم-غودرت- يدفنونني- ضرائحي- تقتلونني- المنون،... وغيرها).

الأمر الذي صور لنا مدى هول صورة الموت في قرارة نفس الشاعر من خلال تلك المفردات العميقة الدلالة الشديدة الوقع على سمع المتلقي، فراحت تترسم صورة فريدة للموت، وكأنه شاخص أمام أعيننا.

أما الجمل فعلى عادة هذبة يستخدم جملا سهلة واضحة، لا تعقيد فيها، تخدم المعنى، وتدور في فلك ما أراد لها الشاعر أن تسخر من أجله، وهو تبيان حاله ومرارة قتله صبراً.والقتل صبراً كما قال عنه ابن الأثير في جامع الأصول " صبرت القتل على القتل، إذا حبسته عليه لتقتله بالسيف وغيره من أنواع السلاح وسواه، وكل من قتل أيّ قتلة كانت إذا لم يكن في حرب ولا على غفلة ولا غرة فهو مقتول صبراً " .

ومما سبق يلحظ مدى أثر الموت في شعر هذبة بن الخشرم، وكيف صبغ الموت شعر هذبة بلون حزين، وجزع واضح، وإن حاول الشاعر إخفائه بالتصبر، إلا أنه كان واضحاً في مفرداته وتراكيبه، الأمر الذي جعل من شعر هذبة آية فنية، ترسم لوحة إبداعية لرتاء الذات، وتصور بعدسة إبداعه إحدى لحظات الضعف الإنساني، التي تصور مدى ضعف البشرية أمام هول الموت والفناء.

المحور الثالث : شعر هدية بن الخشرم في ميزان الشعر العربي

نتاج هدية الشعري .

على الرغم من جميل ما وصل إلينا من شعر هدية، إلا أن المصادر لم تنقل إلينا سوى القليل من شعر هدية، أو ربما ضاع ديوان شعره مع ما ضاع من نتاج هذه الأمة، ولربما ضل ديوانه السبيل إلى زماننا بفعل عوداي الدهر. فعلى الرغم من تمثله القدامى بشعره وأخباره، فلم يصلنا إلا القدر اليسير منها، وأكبر قسم وصلنا من أشعاره ما أورده صاحب منتهى الطلب^١، وما قد جمعه يحيى الجبوري في كتاب واحد لشعر هدية، وأكبر قسم وصلنا من أخباره كان حول قصته مع ابن عمه زيادة بن زيد وقتله له، ودخوله السجن، ثم مقتل هدية صبرًا.

جدول (١)

المجموع	القصائد (٧٤-٥٠)	القصائد (٤٩-٤٠)	الأبيات (٢٩-١٤)	الأبيات (١٣-٧)	الأبيات (٦-١)	حجم الشعر
٥٤	٢	٢	٥	١	٤٤	عدد النتف أو القطع أو القصائد
٤٠٨	١٢٥	٨٣	١٠١	٧	٩٢	عدد الأبيات

^١ منتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك.

وبالنظر في ما جمعه يحيى الجبوري^١ من أشعار هدية التي وصلت إلينا، تجد أن ما جمع لا يمثل كل ما قاله هدية بن الخشرم، بل يخبرنا أن ما ضاع لربما يفوق أضعاف ذلك، فقد جاء جمع الجبوري على نحو ما نذكره.

فمن خلال الجدول السابق يتضح لنا أن عدد النصوص ما فوق الخمسة والسبعين بيتا قد انعدم وجودها في شعر هدية، وأن عدد النصوص التي يتراوح عدد أبياتها ما بين (٧٤-٥٠) نسان فقط، وعدد النصوص التي يتراوح عدد أبياتها ما بين (٤٩-٤٠) نسان أيضا، وقد جاءت النصوص التي يتراوح عدد أبياتها ما بين (٢٩-١٤)، منها ما يحمل اكتمال معنى، ومنها ما يعد تجسيدا لموقف مقتضب، أو ربما هو مقتطع من قصيدة كبيرة، لم يصل إلينا منها سوى تلك الأبيات، فيما جاءت النصوص التي يتراوح عدد أبياتها ما بين (١٣-١٧) نص واحد، بينما جاء عدد النصف التي يتراوح عدد أبياتها ما بين (٦-١) أربع وأربعون نثقة، جلها ما بين بيت وبيتين، لربما عدت عوادي الدهر على تكملة قصيدته، الأمر الذي يجعل تلك النصف تمثل قطاعا واسعا في مجموع شعر هدية، حيث تمثل ٨١,٥٪ من إجمالي ما وصل إلينا من شعر هدية .

ومع أن شعر هدية كان بدهاءة وارتجالا، وقد ضاع أغلبه، إلا أنك تجد فيه قوة وجوده ومثانة، وتستشعر من خلاله حس الشاعر المرهف، ومدى تمكنه من آليات فنه.

هدية في أعين معاصريه .

لقد حاز هدية كشاعر على إعجاب معاصريه من النقاد والأدباء والرواة؛ فقد كان لشعر هدية مكانة رفيعة في نفوس معاصريه، وكانت أشعاره وأخباره تروى في المدينة

^١ ينظر شعر هدية بن الخشرم العذري د. يحيى الجبوري.

ويعجب بها الناس، إلى الحد الذي جعل المصعب الزبيري يقول: "كنا بالمدينة أهل البيوتات، إذا لم يكن عند أحدنا خبر هدبة وزيادة وأشعارهما ازدريناه، وكنا نرفع من قدر أخبارهما وأشعارهما، ونعجب بها".^١

يلحظ من كلام مصعب مدى الإعجاب بشعر هدبة، ومدى الحرص على معرفته وحفظه، ذلك لأن شعر هدبة كان تعبيراً صادقاً عن عواطفه وإحساسه وهو يقاسي آلام السجن وانتظار الموت، كما يلحظ أيضاً من أخبار هدبة مدى حرص الناس على التعرض له يوم أن أفيد منه، وجعلهم يستشذونه الشعر، ويتدرون بمدى صبره وثباته.

ولا يخفى علينا أيضاً موقف الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي لمّا خيره هدبة وقت أن مثل أمامه في الدفاع عن نفسه بقول ذلك شعراً أو كلاماً عادياً؛ فاختر الخليفة أن يكون ذلك شعراً، مما يدل على إعجاب الخليفة بشعر هدبة، والحرص على سماعه.

لم تتوقف مكانة هدبة عند ذلك الحد، بل تخطته إلى الحد الذي جعل سراقه البارقي يعجب بشعر هدبة فيذكره في جملة شعره قائلاً: (الكامل)^٢

وَهْدِيْبَةُ الْعُدْرِي زَيْنَ شِعْرُهُ مَا قَالَ فِي سِجْنٍ وَقَيْدٍ مُنْقَلٍ

آراء النقاد في شعر هدبة .

يكاد يجمع النقاد على شاعرية هدبة، ومدى قدرته الشعرية، ويشيدون بإحساسه المرهف وعواطفه الجياشة، ويعزون تلك الرقة إلى ما قاساه الشاعر من ألم السجن

^١ الأغاني ج ٢١ ص ٢٥٤

^٢ ديوان سراقه البارقي، تحقيق حسين نصار، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٤م ص ٧١.

وترقب الموت؛ فصاحب الأغاني يرى أن هدية " شاعر فصيح متقدم من بادية الحجاز، وكان شاعرا راوية، كان يروي للحطيئة، "، وهو يرى أيضا أن هدية " كان أشعر الناس منذ يوم دخل السجن إلى اليوم الذي أقيده منه^١ .

كما أن ابن رشيقي يرى أن هدية شاعر من الشعراء الذين تميز شعرهم بالقوة والجودة والمتانة حيث يقول: " ومن الشعراء من شعره في رويته وبديته سواء عند الأمن والخوف، لقدرته وسكون جأشه وقوة عزمته^٢، وذكر من بين هؤلاء هدية بن الخشرم .

ولا يخفى على المتتبع لشعر هدية عناية النحاة^٣ بذلك الشعر، وأخذ الشواهد النحوية منه، الأمر الذي يوحي بمدى جودة ذلك الشعر وقوة قائله. من ذلك استعمالهم عسى بمعنى كاد وحذف أن المصدرية من خبرها،

وشاهدهم في ذلك قول هدية : (الوافر)

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أُمْسِيَتْ فِيهِ يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبٌ

ويستشهدون على إضمار فعل بعد إن مع جواز النصب والرفع فيه، مثل قوله :

(الطويل)

^١ الأغاني ج ٢١ ص ٢٥٤ .

^٢ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيقي القيرواني، تحقيق محمد عبد الحميد، ط دار الجيل ١٩٨١ م .

^٣ ينظر : الكتاب لسبويه ٤٧٨/١، الجمل ص ٢٠٩ ، وأسرار العربية ص ١٢٨، شرح الشواهد للأعلم ١٣١/١، أمالي ابن الشجري ٢ / ٢٣٦ .

فَإِنْ تَكُ فِي أَمْوَالِنَا لَا نُطِقُ بِهَا ذِرَاعًا وَإِنْ صَبْرًا فَتَصْبِرِ لِلصَّبْرِ

ويستشهدون على نصب (ذا جلال وذا ضياع) بعد حرف النفي؛ لإجرائها مجرى حروف الاستفهام، بإضمار فعل على ما تقدم وذلك في قوله: (الطويل)

فلا ذا جلال هبته لجلاله ولا ذا ضياع هنّ يتركن للفقر

وغير ذلك من الشواهد النحوية واللغوية.

كما يرى يحيى الجبوري أن " شعر هدبة من أشعار الصدر الأول، قوة وجزالة وحسن صياغة، وجودة معنى، لغته فصيحة عالية، وعبارته جيدة، وأسلوبه حسن جميل^١.

وبالنظر في ما وصل إلينا من شعر هدبة بن الخشرم العذري نجد أن الشعر الذي قاله بعد تعرضه لتجربة السجن وترقب الموت قد جاء في صورة بسيطة، لا يحمل عمق النص المتوقع من شاعر مثل هدبة. فقد جاء معظم شعره في هذا الجانب في صورة نتف أو نصوص قصيرة، أشبه ما تكون بزفرات أو دعوات أو كلمات تصبر على حاله، اعتمد الشاعر فيها على المباشرة والسطحية، لا يعمق الصورة، ولا يركب الجمل، ولا يستخدم الصور الممتدة في نصوصه تلك. فقد جاءت نصوصه خالية من المقدمات الطللية والوقوف على الديار، كما هو معهود عند شعراء عصره وسابقيه من الشعراء. وإذا قيست نصوص هدبة بن الخشرم بروميات أبي فراس الحمداني، نجد أن أبا فراس قد حمل نصوصه صوراً جسدت مدى عمق تجربته، قد جاء بعض منها يحمل صوراً رامزة، ألقى من خلالها الضوء على مرارة الأسر والسجن .

^١ شعر هدبة بن الخشرم العذري د. يحيى الجبوري ص ٤٣.

غير أن هناك بعض النصوص التي قالها هذبة قبل تجربته تلك، قد جاءت تلك النصوص بكم وكيف يوضحان مدى قدرة الشاعر على نسج نصوص متكاملة الأركان عميقة الصور والمعاني، سار فيها الشاعر على نهج سابقه من الشعراء من وصف للناقة والرحلة، واتخاذ معادلات موضوعية لذاته وتجاربه، محددًا آليات شعره وشاعريته بوصف عملية تكون السحاب من بداية الرعد والبرق، وحتى مرحلة خلقه مطرًا. ذلك من مثل قوله: (الطويل)^١

أَلَا عَلَّانِي وَالْمُعَلَّلُ أَرْوْحُ	وَيَنْطِقُ مَا شَاءَ اللِّسَانُ الْمُسْرَحُ
بِإِجَانَةٍ لَوْ أَنَّهَا خَرَّ بَازِلُ	مِنَ البُخْتِ فِيهَا ظَلٌّ لِلشَّقِّ يَسْبَحُ
وَقَافِرَةٌ تَجْرِي عَلَى مَتَنِ صَفْوَةٍ	تَمُرُّ لَنَا مَرًّا سَنِحًا وَتَبْرَحُ
رَفَعْتُ بِهَا كَفِّي وَنَادَمَنِي بِهَا	أَعَزُّ كَصَدْرِ الهُنْدَوَانِيِّ شَرْمَحُ
مَتَى يَرِ مَنِّي نَبْوَةٌ لَا يُشَدُّ بِهَا	وَمَا يَرِ مِنَ أَخْلَاقِي الصِّدْقَ يَفْرَحُ
أَعَادِ غُدْوًا أَنْتَ أَمْ مُتَرَوِّحُ	لَعَلَّ الأَنْبَى حَتَّى غَدٍ هُوَ أَرْوْحُ
لَعَلَّ الَّذِي حَاوَلْتَهُ فِي تَنِيَّةِ	يَوَاتِيكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي خِفْتَ يَنْزُحُ
وَلِلدَّهْرِ فِي أَهْلِ الفَتَى وَتِلَادِهِ	نَصِيبٌ كَقَسْمِ اللِّحْمِ أَوْ هُوَ أَبْرَحُ
وَجِبَّ إِلَى الإِنْسَانِ مَا طَالَ عُمُرُهُ	وَإِنْ كَانَ يُشْقَى فِي الحَيَاةِ وَيُقْبَحُ
تَعْرِهُمُ الدُّنْيَا وَتَأْمِيلُ عَيْشِهَا	أَلَا إِنَّمَّا الدُّنْيَا غُرُورٌ مُتَرَّحُ
وَآخِرُ مَا شَيْءٍ يَعْوَلُكَ وَالَّذِي	تَقَادِمَ تَنْسَاهُ وَإِنْ كَانَ يُفْرَحُ
وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرِيِّ تَظَلُّ ظِبَاؤُهُ	بِسُوقِ العِضَاهِ عَوْدًا مَا تَبْرَحُ
شَدِيدِ اللَّطَى حَامِي الوَدِيقَةِ رِيحُهُ	أَشَدُّ لَطَىٍّ مِنَ شَمْسِهِ حِينَ يَصْمَحُ
تَنْصَبُ حَتَّى قَلَّصَ الظِّلُّ بَعْدَمَا	تَطَاوَلَ حَتَّى كَادَ فِي الأَرْضِ يَمِصُّ

^١ السابق ص ٨٣

أَزِيْرَ الْمَطَايَا ثُمَّ قُلْتُ لِصُحْبَتِي
فَرَاخُوا سِرَاعًا ثُمَّ أَمَسُوا فَأَدْلَجُوا
وَحَرَّقِ كَأَنَّ الرِّيْطَ تَخْفِقُ فَوْقَهُ
عَلَى حَيْنٍ يُثْنِي الْقَوْمُ خَيْرًا عَلَى السُّرَى
نَفَى الطَّيْرَ عَنْهُ وَالْأَنْيْسَ فَمَا يُرَى
وَلَمْ يَنْزِلُوا أَبْرَدْتُمْ فَتَرَوُّحُوا
فَهَيْهَاتَ مِنْ مُمَسَاهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا
مَعَ الشَّمْسِ لَا بَلَّ قَبْلَهَا يَتَضَحَّضُ
وَيَظْهَرُ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ أَفْصَحُ
بِهِ شَبَّحَ وَلَا مِنَ الطَّيْرِ أَجْنَحُ

قَطَعْتُ بِمِرْجَاعٍ يَكُونُ جَنِيْنُهَا
يَدَاهَا يَدَا نَوَاحِي مُسْتَعَانَةٍ
تَجُودُ يَدَاهَا فَضْلًا مَا ضَنَّ دَمْعُهَا
لَهَا مُقْلَتَا غَيْرِي أُتِيحَ لِبَعْلِهَا
فَلَمَّا أَتَاهَا مَا تَلَبَّسَ بَعْدَهَا
فَقَامَتِ قَدُورَ النَّفْسِ ذَاتَ شَكِيمَةٍ
يُخَفِّضُهَا جَارَاتُهَا وَهِيَ طَامِحُ
فَدَعِذَا وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ
يُضِيءُ صَبِيرًا مِنْ سَحَابٍ كَأَنَّهُ
فَلَمَّا تَلَافَتْهُ الصَّبَا قَرَقَرَتْ بِهِ
طِوَالِ ذُرَاهُ فِي الْبُحُورِ كَأَنَّهُ
سَقَى أُمَّ عَمْرٍو وَالسَّلَامُ تَحِيَّةٌ
سِجَالًا يَسْحُ الْمَاءَ حَتَّى تَهَالِكْتَ
أَجَشُّ إِذَا حَنَّتْ تَوَالِيَهُ أَرْزَمَتْ
فَلَمْ يَبْقَ مِمَّا بَيْنَنَا غَيْرَ أَنَّنِي
دَمًا قَطَعًا فِي بَوْلِهَا حِينَ تَلْقَحُ
عَلَى بَعْلِهَا غَيْرِي فَقَامَتْ تَنَوُّخُ
عَلَيْهِ فَتَارَاتِ تَرْنُ وَتَصَدَّحُ
إِلَى صِهْرِهَا صَهْرُ سِنِيٍّ وَمَنْكُحُ
بِصَاحِبِهَا كَادَتْ مِنَ الْوَجْدِ تَنْبُحُ
لَهَا قَدَمٌ فِي قَوْمِهَا وَتَبْحُبُحُ
الْفُؤَادِ وَعَيْنَاهَا مِنَ الشَّرِّ أَطْمَحُ
قَعَدْتُ لَهُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ يَلْمَحُ
جِبَالًا عَلاهَا الثَّلْجُ أَوْ هُوَ أَوْضَحُ
وَأَلْقَى بِأُرُوقِ عَزَالِيهِ تَسْفَحُ
إِذَا سَارَ مَجْزُودُ الْقَوَائِمِ مُكْبِحُ
لَهَا مِنْكَ وَالنَّائِي يَوْدُ وَيَنْصَحُ
بُطُونُ رَوَابِيهِ مِنَ الْمَاءِ دُلْحُ
مَطَافِيلُهُ تَلْقَاءَ مَا كَادَ يَرَشْحُ
مُحِبُّ وَأَنْنِي إِنْ نَأَتْ سَوْفَ أَمْدَحُ

وَإِنَّ حَرَامًا كُلُّ مَالٍ مَنَعْتُهُ تُرِيدِنَهُ مِمَّا نُرِيحُ وَنَسْرَحُ
وَعَهْدِي بِهَا وَالْحَيُّ يَدْعُونَ غِرَّةً لَهَا أَنْ يَرَاهَا النَّاظِرُ الْمُتَصَفِّحُ
مِنَ الْخَفَرَاتِ الْبَيْضِ تَحْسِبُ أَنَّهَا إِذَا حَاوَلَتْ مَشِيًّا نَزِيفَ مُرْنَحُ

وَفِي مَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الدَّهْرِ لِلْفَتَى بَلَاءٌ وَفِي مَا بَعْدَهُ مُتَمَنِّحُ
قَلِيلٌ مِنَ الْفَتِيَانِ مَنْ هُوَ صَابِرٌ مُثِيبٌ بِحَقِّ الدَّهْرِ فِي مَا يُرَوِّحُ
عَلَى أَنْ عَرَفَانَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَدَانِ بِمَا لَمْ يَمْلِكُوا أَنْ يُزَحْزَحُوا

ومن ثم فقد كان لتجربة السجن وترقب الموت في شعر هدبة بن الخشرم الأثر العميق في تحويل شعره من العمق والرمزية إلى المباشرة والسطحية، الأمر الذي يشي بمرارة تلك التجربة على نفس الشاعر، فقد انصب كل تركيزه على زفراته وآلامه، مبتعدا عن تعميق نصه، أو تحميله صورا رامزة. أو حتى الحفاظ على المطع التقليدي للقصيدة.

هدبة ومدرسة عبيد الشعر:

ذكر صاحب الأغاني أن هدبة "كان شاعرا راوية، كان يروي للحطيئة، والحطيئة يروي لكعب بن زهير، وكعب بن زهير يروي لأبيه زهير، وكان جميل راوية هدبة، وكثير راوية جميل^١.

فمن النص السابق حكم النقاد على هدبة بن الخشرم العذري بأنه تلميذ من تلاميذ "مدرسة عبيد الشعر"، ذلك المصطلح الذي أطلقه الأصمعي على مجموعة من الشعراء تعاقبت فيهم الرواية والنقل، ولربما التمس الأصمعي خيوطا دقيقة تربط بين

^١ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢١ ص ٢٥٤.

نتاجهم الشعري، توحى تلك الخيوط بالامتداد النقلي والتكميلي للتلميذ نهج معلمه. غير أن الباحث يميل إلى غير ذلك ، فربما ينطبق ما ذهب إليه الأصمعي - من وجهة نظر بعض النقاد - على مجموعة من هؤلاء الشعراء دون غيرهم، فقد يقترب الحطيئة من كعب، وقد يقترب كعب من زهير، كما أن زهيراً قد يقترب من أوس بن حجر، ليكونوا جميعاً امتداداً نقلياً لرواية الشعر وتأليفه على نهج واحد ربما يتماشى مع المصطلح الذى أطلقه الأصمعي على تلك الجماعة . لكن مع قليل من التدبر والنظر في حال شعر هؤلاء الشعراء، والتدقيق فيما وصل إلينا من أخبار شعرهم يجد أن مسمى "عبيد الشعر " مصطلح يحتاج إلى التدقيق والنظر. فلو افترضنا أن ذلك المصطلح أطلق لتحكيك الشعراء شعرهم - كما قيل عنهم - فكيف يمكننا الحكم على القصائد التى قالها هؤلاء الشعراء ارتجالاً، أو وفق موقف أني؟

ولي وقفة هنا مع هدبة بن الخشرم؛ فهل يعد هدبة بن الخشرم تلميذاً لهذه المدرسة؟ وهذا الأمر يحتاج إلى مزيد من التدبر. فلو كان التلميذ يضاف إلى تلك المدرسة لتحكيكه الشعر كما زعموا، وتجويده شعره بإعادة النظر فيه - على نحو ما وصفه القدامى لنهج تلك المجموعة - لخرج هدبة من محيط تلك المدرسة، ذلك لأن شعر هدبة غلب عليه الارتجال، كما أن شعره كان بمثابة زفرات سجين مكلومة، يغلب عليها حس الألم، والشعور باقتراب الموت. فبالنظر إلى شعر هدبة ومقارنته بنتاج زهير بن أبي سلمى مثلاً، يجد بونا شاسعا بين نمطي التأليف والشاعرية ، فالباحث يجد أن هناك فرقا واضحا بين ما وصل إلينا من شعر هدبة وشعر زهير و آل بيته الشعري على مستوى النصية وعمق المضمون ، وكذلك عمق الصورة والبيان والحكمة، فلو كان التلميذ يضاف إلى تلك المدرسة لما يلتمس من صفات مشتركة بين أشعار أصحاب تلك الأسرة الشعرية ، لخرج هدبة أيضا من محيط تلك الأسرة، فلا يخفى على جمهور

النقاد ذلك التباين بين شعر هدبة وشعرهم، وذلك لاختلاف صورة شعرهم عن صورة شعر هدبة عمقا وبنية نصية، ففي الوقت الذي تأتي فيه النصوص الشعرية لهؤلاء الشعراء في بنية عميقة مركبة ، يأتي شعر هدبة في صورة نصوص سطحية واضحة المعنى لا تعقيد فيها ولا تركيب . ولو كان التلميذ يضاف إلى تلك المدرسة للرواية فقط ، فسوف يصادفنا خبر انقطاع الصلة بين هدبة وجميل بن معمر^١ ، وكيف توعد هدبة حينما زاره جميل في سجنه لو أنه نجا من سجنه أنه سوف يهجو، ذلك لهجاء جميل جماعة هدبة وقومه، وكيف دعا جميل بن معمر الله أن يكفيه أجدع بني عذرة، فكيف تكون تلك الحال بين شاعر ومن روى له؟ بل كيف ضاع شعر هدبة في الوقت الذي وصل إلينا شعر جميل بن معمر؟ .

لذا فإن الباحث يرى أن نسبة هدبة بن الخشرم إلى مدرسة عبيد الشعر المزعومة في الأصل أمر يحتاج إلى إعادة تفكير، ويحتاج إلى تروٍ ودقة، فلا يمكن لنا الإقرار بإضافة هدبة إلى تلك الأسرة الشعرية دون تمحيص وتفكر في شعر هدبة ووضعه أمام مقاييس ونهج تلك الأسرة.

من هنا فإنني أرجح عدم توافق شعر هدبة - ما وصلنا منه - مع قواعد ونمط شعر أوس وزهير وأسرتهم الشعرية، فعلى الرغم من أن هدبة روى عن الحطيئة، الذي روى لكعب، الذي روى لأبيه زهير، إلا أن هدبة لم يصيغ شعره بتلك الصبغة، ولم ينتهج نهج هؤلاء، فصورة شعر هدبة تختلف من الوهلة الأولى عن شعر الحطيئة الذي روى عنه، على الرغم من أن الشاعرين خاضا نفس تجربة السجن، والشواهد الشعرية قطعية الدليل .

^١ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢١ ص ٢٩٦

الخاتمة:

يظل الشعر العربي الذي تناول حالات الضعف الإنساني الناجمة عن وقوع الإنسان رهينا للسجن موطن تدبر وتفكر، حيث مثل لنا صورة الإنسان لحظة وقوعه أسير جدران سجن يضيق عليه مهما اتسعت أركانه. ويظل الشعر الذي لقب بشعر الحبسيات يجسد تلك الزفرات المكلومة التي أطلقها أصحابها، تعبيراً عما يجيش في صدورهم من عوامل نفسية مثلت ما يشبه صرخات استغاثة، وطلب طوق للنجاة مما هم فيه من ألم نفسي وجسدي .

ويأتي شعر هدبة بن الخشرم العذري ليمثل لونا فريدا من ألوان شعر الحبسيات، والذي عانى فيه صاحبه مرارة السجن وترقب أن يقتاد منه، الأمر الذي طبع شعر هدبة بلون عجيب من ألوان الشعر المحمل بالنقائض، ما بين يأس وأمل، وما بين خوف ورجاء، الصورة التي جعلت من شعره كاشفة ضوء على المنطقة التي يقف فيها الإنسان بين الحياة والموت.

ومما سبق يتبين لنا مدى تأثير شعر هدبة بن الخشرم بالسجن ومرارته، وترقب الموت ولوعة فراق الأحبة، مما صبغ شعر هدبة بلون مميز، ميزه عن شعر غيره ممن كتبوا عن السجن ولم يخوضوا غمار التجربة.

وقد توصل البحث إلى نتائج أهمها :

- لقد كان لتجربة السجن على شعر هدبة بن الخشرم تأثير شديد غير من صبغة شعره وشاعريته الأولى .
- كما كان لترقب وانتظار الموت أثر كبير على شعر هدبة بن الخشرم، الأمر الذي حول أسلوبه إلى الاستكانة والخضوع، والجنوح إلى التعقل أحيانا والشكوى .

- لقد أثرت العوامل النفسية والإنسانية على الأسلوب الشعري لهديبة بن الخشرم، فحولته من منطقة القوة والعمق النصي إلى ما يشبه الزفرات والمعاني السطحية التي لا يهتم صاحبها بعمق النص بمقدار اهتمامه بوصف حاله في القيد والسجن ، الأمر الذي يفتح الباب أمام دراسة العوامل التي تؤثر على شاعرية الشعراء، ومدى أهمية ذلك في الدراسات الإنسانية.
- إن إطلاق مصطلح " مدرسة عبيد الشعر" على مجموعة من الشعراء جمعتهم بعض العلاقات أو صلة القرابة، واتهام شاعريتهم بالتحكيك والنظر وأنهم أصحاب حوليات ، أمر يحتاج إلى تدقيق وإعادة نظر.
- إن نسبة هديبة بن الخشرم إلى مدرسة عبيد الشعر التي زعم النقاد وجودها أمر لا يقبله البحث والباحث، ومعاودة النظر في ذلك ودراسته وفق ما وصلنا من شعر هديبة، وموازنته بشعر المنسوب إليهم في ضوء معايير النصية.

التوصيات:

- قراءة شعر هديبة بن الخشرم في ظل التفسير النفسي للأدب؛ لتبين أثر العوامل النفسية في بناء الصور الشعرية في شعر هديبة .
- إقامة بحث متكامل للتدقيق في نسبة الشعراء إلى مدرسة عبيد الشعر، ومدى توافق شعرهم لمنهج تلك المدرسة- إن جاز التعبير.

المصادر والمراجع

- أسرار العربية لابن الأنباري دراسة وتحقيق محمد حسين شمس الدين ط ١ دار الكتب العلمية ١٩٩٧م.
- أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام/محمد بن حبيب البغدادي تحقيق سيد كسروي حسن. ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ٢٠٠١م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ٢١ تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ومحمود محمد غنيم ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣م.
- أمالي ابن الشجري ج ٢ تحقيق محود محمد الطناجي ط ١ مكتبة الخانجي ١٩٩٢م.
- الاشتقاق لابن دريد تحقيق أ/ عبد السلام هارون ط دار الجيل بيروت لبنان ١٩٩١م.
- تاج العروس من جواهر القاموس محمد بن عبد الرازق المرتضى الزبيدي طبعة الكويت ط ٢.
- تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق عمرو العمروي ط دار الفكر ١٩٩٥م.
- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ط ١ دار الكتب العلمية- بيروت ١٩٨٣م.
- الجمل في النحو الخليل بن أحمد الفراهيدي ط ١ مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م.
- ديوان سراقه البارقي تحقيق حسين نصار ط ١ مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠١م.
- شرح ديوان الحماسة للتبريزي ط ١ دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م.
- شرح شواهد المغني للسيوطي ط لجنة التراث العربي ١٩٦٦م.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ٢/ تحقيق أحمد محمد شاكر ط دار المعارف.
- شعر هدبة بن الخشرم العذري د. يحيى الجبوري ط ٢ دار القلم ١٩٨٦.

- العمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط٥ دار الجيل ١٩٨١م .
- الكتاب لسبويه تحقيق أ/ عبد السلام هارون ط٣ مكتبة الخانجي- القاهرة ١٩٨٨م .
- كتاب المحن للتميمي تحقيق يحيى الجبورى ط٣ دار الغرب الإسلامي ٢٠٠٦م .
- المبهج في تفسير أسماء ديوان الحماسة لابن جني ط١ دار الهجرة -دمشق ١٩٨٨م .
- المحتضرين لابن أبي الدنيا تحقيق محمد خير رمضان يوسف ط١ دار ابن حزم ١٩٩٧م .
- المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم للآمدى تحقيق ف.كرنكو ط١ دار الجيل-بيروت ١٩٩١م .
- معجم الشعراء للآمدى تحقيق ف.كرنكو ط١ دار الجيل-بيروت ١٩٩١م .
- منتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك تحقيق محمد نبيل الطريفي ط١ دار صادر بيروت ١٩٩٩م .

“Resorption Of darkness and death embrace.”

**(Critical reading in Hodba Ibn El-khashram Al-uzzry
prisoning Poetry)**

Arabic poetry, which deals with human vulnerability as a result of being held hostage to a prison, remains a place for thinking and reflection, As it shows the image of a human being held captive within the walls of a prison tightened, no matter how large the pillars were. The poetry known as (Alhabsyat) continues to reflect the grieving sirens of the its writers, as an expression of the psychological factors within their bosom that were like cries for help and a lifeline for their psychological and physical pain..

And here comes the poetry of Hodbah Ibn Elkhashram Alothray to be a unique color of the Alhabsyat poetry, in which he suffered the bitterness of imprisonment and expected to be taken away from it, which imbued his poetry with a wondrous color of poetry bearing contrasts, between despair and hope, and between fear and hope, the image that made his poetry reveals light on the area where man stands between life and death

Numerous studies of prison poetry have been conducted; with many reviews by critics .Some of them see it as a request for mercy, others as a request for remorse, others as a request for freedom, and others. However, despite the many authors, it stands to paint a humane picture of their condition behind prison bars, representing grieving letters standing on the verge of life and death, unaware of where he belongs..

The reason I chose the subject was to shed light on the experience of the Hodba Ibn Elkhashram, its impact on his poetry, its strength and weakness, and to put the Hodba Ibn Elkhashram's poetry before psychological and analytical criticism, and explain the effects.

And then the research came to bear the title “Resorption Of darkness and death embrace”.

(Critical reading in Hodba Ibn El-khashram Al-uzzry prisoning Poetry).